2023 لسنة A10 العدد
No10A - Septembr 2023
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952-Electronic ISSN 2790-1254

وضع الظاهر موضع المضمر في البيان النبوي

م.د. خالد حامد عطية العلي
كلية الإعلام – الجامعة العراقية

المُلخّص :-

يستَنِدُ البحثُ المَوسومُ ب ((وَضع الظّاهرِ مَوضِع المُضمَرِ في البَيانِ النّبويّ)) إلى تشخيصٍ دقيق لظاهرة لغويّةٍ حظت بمكانةٍ رفيعةٍ في متونِ اللغة والنّحو والبلاغةِ والتفسير قديمًا وحديثًا ، ألآ وهي (ظاهرةُ وضعِ الظّاهرِ موضعَ المُضمرِ) ، فكشفت عن بعض أسرار البَيانِ النّبويّ الشّريف ، ذلكَ الفـُلك الذي تـــدورُ فيهِ أزاهيرُ الفَصاحةِ والبلاغة والأدب، وتنطوي أسرار لها أثرها في اللغة والبلاغةِ . منطلقينَ في تشخيصنا إلى حقيقة لامجالَ للشّكِ فيها، أن أصول البيان العربي مضبوطة بقواعد تقضي بأن يكون الكلام العربي على مقتضى الظاهر بالأصالة؛ ولكن مع هذا يجري الكلام على خلاف مقتضى الظاهر،كأن يوضع الظاهر موضع المضمر، لتحقيق أغراض بلاغية منشودة تفي بالمقصود، تُفهمُ مِن السياق والمقام: كالتَّعظيمِ والتّفخيم، والإهانة والتّحقير، أو زِيادة التقرير والتمكين، أو إزالة اللبس والغموض، أو قصد تربية المهابة، وإدخال الروعة في ضمير السّامع بذكر الاسم المقتضي، أو الاستلذاذ بذكر الظاهر، أو استقلال الجملة، أو قصد العموم أو الخصوص، وهذا ما سيكشف عنه البحث بالتفصيل، انطلاقًا من التساؤلات المطروحة:-

– ما المقصود بالإظهار والإضمار؟

– وما الأغراض النّحوية والبلاغية لظاهرة وضع الظاهر موضع المضمر؟

– والنتيجة أن لهذهِ الظاهرة الملحوظة بكثرة في البَيانِ النّبويّ الشّريفِ_ بأغراضها النحويّةِ والبلاغية_ دورٌ كبيرٌ في تحديدِ المعنى المقصود من خلالِ السِّياق والمَقام .

– **الكَلِماتُ المِفتاحيّة** :-وَضعُ الظّاهرِ – موضِع المُضمرِ – البَيان النّبويّ الشَّريف - ظاهرة .

Putting The Apparent In The Placeof The Implicit In The Prophetic Statement

Dr. Khaled Hamed Attia Al-Ali
College of Media – Al-Iraqia University

Abstract :

Ystanid albhth almawswm b ((wade alzzahr mawdie almudmar fi albayan alnnbwy)) 'iilaa tshkhys daqiq lizahirat lghwyt hazat bmkant rfyet fi mtwn allughat walnnhw walblaght waltfsyr qdyman whdythan , ala wahi (zahrt wde alzzahr mwde almudmr) , fakashafat ean baed 'asrar albayan alnnbwy alshshryf , dhlk alfulk aladhi tdwr fyh azahyr alfasaht walbalaghat wal'adaba, watantawi 'asrar laha 'atharuha fi allughat walblagh. mntlqyn fi tashkhisina 'iilaa haqiqat lamjal llshshk fiha, 'ana 'usul albayan alearabii madbutat biqawaeid taqdi bi'an yakun alkalam alearabiu ealaa muqtadaa alzaahir bial'asalati; walakin mae hadha yajri alkalam ealaa khilaf muqtadaa alzaahir,ka'an yudae alzaahir mawdie almudmari, litahqiq 'aghrad balaghiat manshudat tafi bialmaqsud, tufhm min alsiyaq walmuqami: kalttaezym walttfkhym, wal'iihanat waltthqyr, 'aw ziadt altaqrir waltamkini, 'aw 'iizalat allubs walghumudi, 'aw qasd tarbiat almahabati, wa'iidkhal alraweat fi damir alssame bidhikr alaism almuqtadi, 'aw alaistildhadh bidhikr alzaahiri, 'aw aistiqlal aljumlati, 'aw qasd aleumum 'aw alkhususi,

wahadha ma sayakshif eanh albahth bialtafsili, antlaqan min altasawulat almatruhati : - ma almaqsud bial'iizhar wal'iidmari ?

- wma al'aghrad alnnhwyt walbalaghiat lizahirat wade alzaahir mawdie almudmari ?

- walnatijat 'ana lhdhh alzaahirat almalhuzat bikathrat fi albayan alnnbwy alshshryfi_ bi'aghradiha alnhwyt walbalaghiati_ dwr kbyr fi thdyd almaenaa almaqsud min khlal alssiaq walmaqam

keywords: The placement of the affirmative - the position of the pronoun - the noble Prophet's statement - a phenomenon .

مقدمة :

حظي البيان النبوي بمكانة سامية ومنزلة رفيعة، فهو من وحي الله تعالى جمع معاني الحكمةِ قال تعالى : **{وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً}**[1].

فكان البيان النبوي فلكاً تدور فيه أزاهير البلاغة والأدب، وانطوى على أسرارٍ لها أثرها في اللغة والبلاغةِ، وكان من عدلِ الله ورحمته ومزيدِ منّه وبركته أنْ بعث لكُلِّ أمةٍ رسولاً منهم يخاطبهم بلغتهم قال تعالى : **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}**[2].

تكلّم ﷺ فإذا كلامه عجباً قد أُلهم اللغةَ وأسرارها إلهاماً فكانت أقواله صفوة اللغة وحلية البيان بعد القرآن يقتبس الأديب من لفظه وينتفع البليغ بصوغه ويستمد مفسّر القرآن من أثره ويستكمل الفقيه الأحكام الشرعية من نصّه ويشيّد اللغوي صرحاً من كلمه ويستظهر الحكم بحكمته[3].

بلاغة البيان النبوي :

قال إمام الأدب واللغة الجاحظ واصفاً البيان النبوي الكريم، قال : هو الكلام الذي قلَّ حروفه وكثرت معانيه وجلَّ عن الصنعة وتنزّه عن التكلّف، فلم ينطق إلاّ عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلاّ بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشُيّد بالتأييد ويُسِّرَ بالتوفيق[4].

ومن هنا التحمت اللغة بفنونها وأفنانها مع الإبلاغ والبيان، لإقامة حجة الله على خلقهِ، فأنتجت ميراثاً نبوياً جزلاً سهلاً عذباً، جمع بين المهابةِ والحلاوةِ والإيجاز، وحسن الافهام، ينهجُ المنهج التصويري التعليمي التربوي من خلالِ الربطِ بين مشاهدَ واقعية تحرك الذهن لتأكيد المعنى، وإثارة الحوار بالسؤالِ والتكرار، رغبةً في إيصال الفكرةِ وتصحيح الأفكار والتصورات الخاطئة التي أراد ﷺ أن يقتلع جذورها لينشأ مجتمعاً أساسه العلم وبناؤه الفكر.

والمغزى الأعم والأشمل في بلاغته ﷺ هو الإيجاز في مواطن الإيجاز، لكنه يُفصح عن التفصيل وزيادة البيانِ وآمن اللبس والاطناب وغير ذلك من مظاهر البلاغة، مراعاةً لبلوغ أسمى درجات البيانِ وأعلى مراتب فصل الخطاب، لايصال المعنى سهلاً حفظه غزيراً معناه.

---

(1) سورة النساء : الآية 113.
(2) سورة إبراهيم : الآية 4.
(3) الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية : 164 ؛ينظر: المدخل إلى العربية، أبو صالح : 107.
(4) البيان والتبيين، ج2 : 17/16.

ولعل موضوع بحثنا (وضع الظاهر موضع المضمر في البيان النبوي) هو صورة من صور الدرس البلاغي التحليلي، لما خرج عن مألوف الايجاز في الكلام لضرورةٍ يقتضيها المقام ويستدعيها الحال، مع ملاحظة كثرةِ ورود الأحاديث الكريمة على لسان المصطفى ﷺ بصيغة الاطناب، مما يستدعي وقوف الباحث على دقائق أسرارها وإطالة التأمل فيها للوصولِ إلى الدواعي البلاغية التي استدعت ذلك، لذلك جاء هذا البحث، والله ولي التوفيق.

الخصائص البلاغية لألفاظ البيان النبوي :

أولاً - الإيجاز[1] :

تعدُ خصيصة الإيجاز من أبرز خصائص البيان النبوي، فقد جمع البيان النبوي بالألفاظ اليسيرة المعاني الغزيرة.

قال الطيبي : ((إيجاز الكلام في إشباع المعنى فالكلمة القليلة الحروف منها تتضمن كثيراً من المعاني وأنواعاً من الكلام))[2].

ويقول ابن الأثير : ((المراد بذلك أنه ﷺ أوتي الكلم الجوامع للمعاني)) [3].

ثانياً – الجزالة والرقة :

أما الجزالة : قال ابن الأثير ((واعلم أن الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر، فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي دماثة ولين وأخلاق ولطافة مزاج))[4].

وستتبين بإذن الله الأمثلة التي تمر عبر الأبواب فنلمح وقتها أثر هذه الخصيصة في سياق اللفظ والمعنى.

ثالثاً – البعد عن التكلف :

فإننا نجد بيان عناية المصطفى بالمنطق وحرصه على إصلاحه واعتداله وبعده عن التكلف فكره التشدق والثرثرة والتخلل باللسان ونهيه عن التكلف بالسجع.

يقول ابن القيم وهو يتحدث عن هديه في حفظ اللسان واختيار الالفاظ : ((كان يتخير في خطابه، ويختار لامته احسن الالفاظ وأجملها وألطفها، وأبعدها من أهل الجفاء والغلظة والفحش، فلم يكن فاحشا ولا متفحشاً، ولا صخاباً ولا فظاً، وكان يكره أن يستعمل اللفظ الشريف المصون في حق من ليس كذلك، وأن يستعمل اللفظ المهين المكروه في حق من ليس من أهله)) [5].

الخصائص البلاغية للمعنى في البيان النبوي :

أولاً – السهولة والوضوح :

قال تعالى : **{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}**[6].

---

(1) النكت : 70 ؛ الصناعتين : 119 ؛ العمدة : 250/1 ؛ دلائل الإعجاز : 125.
(2) شرح الطيبي على المشكاة : 356/10.
(3) المثل السائر : 31.
(4) المثل السائر : 31 .
(5) ينظر : زاد المعاد : ج2، ص352.
(6) النحل : الآية 44.

فالبيان النبوي نجد أنه مألوف الألفاظ، معروف المعنى، واضح الدلالة لا لبس ولا إغراق فيه[1].

ثانياً – التنوع والشمول :

نجد فيه الإحاطة والإلمام ونجد فيه صريح مخاطبة الفكر والروح والعقل في كل زمان ومكان.

ثالثاً – المرونة والسعة :

نجد جمع الحديث من مضانه المتفرقة يشكل منهجاً متحداً مطرداً يعالج الموضوع الذي تبغيه مثله مثل القرآن.

رابعاً – السمو والرفعة :

سموه ورفعته برقي معانيه وإثارة عاطفته وشرف ذكره وإجبار الفكر والبصيرة الإذعان لمعانيه .

خامساً – الفخامة والإحاطة :

فمعانيه قوية مجلجلة تفيض بالأهداف السامية النبيلة.

لقد ذكر الأستاذ الدكتور محمد لطفي الصباغ أن في معاني الحديث صفات قل أن تجتمع في كلام سواه ومن هذه الصفات : الغنى بالأفكار والعمق والجدة والانسجام والتسلسل والغوص في أعماق النفس وملامسة أبعاد الروح[2].

الاغراض البلاغية لإقامة الظاهر مقام المضمر :

إن المتتبع لألفاظ البيان النبوي الكريم، يلمح بوضوحٍ خروج الكلام عن مقتضى ظاهرهِ في مواضع كثيرة يحتملها السياق ويوجبها المعنى والغرض الذي جاءت من أجلهِ لأن الأصل في وضع الضمير في اللغةِ هو الاختصار والتقليل من طول الكلام الذي يحصل بذكر الاسم الظاهر ابتداءاً أو تكراراً، ولا يخالف هذا الأصل إلاَّ لغرضٍ بياني مسوغ لوضعِ الظاهر موضع المضمر، وهذا هو ميدان بحثنا والله الموفق.

الغرض الأول : التعظيم والتفخيم[3] :

إذا كانت البلاغة لكل مقام مقال، فمن الفصاحة والبيان أن نولي المقام مكانتهُ التي تسمو بها، فالتعظيم والتفخيم من أوسع أغراض البلاغة شمولاً، لارتباطها الوثيق بمن سمى مقامه وأرتفع شأنه، ويتمثل هذا الغرض في كثيرٍ من أحاديث نبينا الكريم ﷺ، وذلك كأسماء الله تعالى، وأسماء رسله، وأنبيائه، وملائكتهِ، وأولي العلم، قال تعالى مرتباً بعض هذه المقامات : **{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ}**[4].

وقال تعالى : **{وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً}**[5].

ومن شواهد هذا الغرض في البيان النبوي الشريف :

---

(1) ينظر : ابن كثير : 524/2؛ وينظر : القرطبي : 72/9.
(2) ينظر: الحديث النبوي، مصطلحه وبلاغته وكتبه : 54-58.
(3) البرهان : 482/2.
(4) سورة آل عمران : 18.
(5) سورة النساء : 69.

الحديث الأول :

قال ﷺ : ((إنما الأعمال بالنياتِ، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليهِ))[1].

يحظى هذا الحديث باهتمام صاحب كل فن[2] لتعلق الحديث بفنه، فالحديث حديث من قال ((بعثت بجوامع الكلم))[3] أي إيجاز الكلام في دقة المعنى وتمكنه، دعك من تضمنه أسس الفقه والاخلاقِ والعقيدة، وتأمل في أسرار بلاغته، تجد وضع النبي ﷺ للظاهر موضع المضمر وإعادته بلفظهِ تكريماً وتفخيماً وتبجيلاً وتعظيماً لاسم الله العظيم ولاسم نبيه الكريم ﷺ، فقال ﷺ ((فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله)) عدولاً عن قولهِ ((فهجرته إليهما)) بيد أنه قال في شأن الدنيا ولوازمها ((ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)) فاستغنى عن تكرار الاسم الظاهر لتدني المقام مخالفاً لما تقدم من ذكر المقام الأسمى.

ومن الملاحظ أن روعة الفصاحة ورونق البيان قد أحاطا بالحديث من كل جوانبه، فلك أن تتأمل أنه ﷺ في مقام ذكر لفظ الجلالةِ مقترناً بذكر رسولهِ ﷺ جاء بحرف الجر (إلى) للدلالة على منتهى الغاية، في حين جيء بحرف الجر (اللام) مُقيداً لفظ (الدنيا) ولك بعد هذا أن تعدد معاني اللام، من تعليل ومُلكٍ وشبهة، وتلزمها بذكر لفظ (الدنيا وأهلها).

الحديث الثاني :

قال ﷺ : ((إنَّ الله لا يقبض العلم إنتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبقِ عالماً إتخذ الناس رؤوساً جُهالاً، فسُئلوا فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا))[4].

في هذا الحديث الشريف أُثر وضع الاسم الظاهر موضع المضمر في ثلاثة مواضع هي : (العلم، والعلماء، وعالماً)، للدلالة على علو مكانة العلم ورفعة شأنه، وحاجةِ الناس إليه، وقد ذكر القرآن الكريم شأن العلم في مواضع كثيرة منها أنه ابتدأ نزول الوحي بخمس آياتٍ فيها ستة من ألفاظ العلم (أقرأ، أقرأ، علَّم، بالقلم، علَّم، يعلم) وقال تعالى : **{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}**[5]، ففي الحديث عدول ظاهر عن قولهِ ﷺ (ولكن يقبضه) بقولهِ (ولكن يقبض العلم)، وقوله (بقبض العلماء) عدولاً عن قولهِ (بقبضهم) وقوله (حتى إذا لم يُبق عالماً) عدولاً عن قولهِ (حتى إذا لم يُبقِ منهم) و(بغير علم) عدولاً عن قوله (بغيره).

الحديث الثالث :

قال ﷺ : ((وما اجتمع قومٌ، في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله))[6] جاء الاسم الظاهر واضحاً في قوله ﷺ (يتلون كتاب الله)، حيث تكرر لفظ الجلالة دلالة على منهج الحديث الشريف المتبع في ذكرِ المعظم بتشريفهِ، ونسبتهِ وإضافته إلى اسم الله تعالى، وهذا هو منهجُ الكتاب الكريم، بدليل قوله تعالى : **{وَطَهِّرْ بَيْتِيَ}**[7] و**{قل يَاعِبَادِيَ}**[8] و**{وأنه لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ}** [1] وغيرها من الشواهد القرآنية الكثيرة، حيث نُسبت نُسبت هذه الالفاظ الكريمةِ إلى نفسه تعظيماً وتبجيلاً.

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الإمامة، باب ثواب من غزا، ح : 1907 ، ص500.
[2] قال الشافعي : هذا الحديث ثلث العلم، ويدخل في سبعين باباً من أبواب العلم. جامع العلوم والحكم، ص7-26.
[3] صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب نصرت بالرعب، ح : 2977، ص485.
[4] صحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم، ح : 2673، ص679.
[5] سورة المجادلة : الآية 11.
[6] صحيح مسلم، كتاب الذكر، باب : فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ح : 2699، ص684.
[7] الحج : الآية 26.
[8] الزمر : الآية 10.

الغرض الثاني : إزالة اللبس لإيهام الضمير خلاف المراد :

الغرض الأول من التعبير الإفهام، واللبسُ مناف للإفهام، لذا كان هذا الغرض أحد أهم الأغراض التي راعتها العرب في كلامها[2]، بإزالة اللبس الحاصل في ايهام الضمير خلاف المقصود من المعنى، وقد كثر هذا الغرض في شواهد البيان النبوي الشريف، ومن المظان التي يستحسنُ فيها إقامة الظاهر مقام المضمر[3].

الحديث الأول :

ونظيره قوله ﷺ : ((مَنْ دعا إلى هدى كان لهُ من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً))[4].

فقد أمن اللبس هنا بإعادة الأسم الظاهر (أجورهم) الدال على معنى أجر الأخرة، وهو أجر معنوي، لدفع الايهام من أن المراد من المعنى ذكر الضمير العائد إليه، فقد يتوهم السامع أن النقص قد ينال شيئاً مادياً من أموالهم وثرواتهم خلافاً للمراد وهو الأجرُ المعنوي، لذلك عَدَل عن قوله (لا ينقص ذلك منهُ شيئاً) دفعاً للتوهم وآمن اللبس في المعنى.

الحديث الثاني :

قال ﷺ : ((مثل ما بعثني الله بهِ من الهدى والعلم، كمثلِ غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفةٌ طيبة قبلت الماءَ، فأنبتت الكلأَ والعشب الكثير، وكان منها أجادبُ أمسكت الماء، فنفع الله بها الناسَ، فشربوا منها وسقوا وزرعُوا، وأصابَ طائفةً أُخرى، إنّما هي قيعانٌ، لا تمسك ماءً ولا تنبتُ كلأً، فذلك مثل من فَقُهَ في دينِ اللهِ، ونَفَعَهُ ما بعثني الله به، فَعلِمَ وعلَّمَ، ومثلُ من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى اللهِ الذي أُرسلت به))[5].

عَبر الرسول ﷺ بالاسم الظاهر في هذا الحديثِ في لفظِ (هُدى الله)، بدل الضمير : هداه، والسرّ البلاغي في مخالفةِ الظاهرِ هو مخافة اللبس وآمن الوقوعِ في الايهام، بأن عود الضمير على قولهِ (فمن لم يرفع بذلك رأساً)، فيصبح المعنى : ((ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هداه))، والأمرُ ليس كذلك، لعدم إفادة المعنى المقصود، لأنه الهدى هُدى الله ليس هدى أحد وربما يعود الضمير على (مَن) الاسم الموصول، والمعنى الدقيق لهذا الحديث أن على المسلم إتباع هدى الرسول وفقا لمنهج السنة النبوية الشريفة لا على مراد المسلم ومنهجه .

الحديث الثالث :

قال ﷺ : ((مَنَ حَلَفَ على يمين، ثُمَّ رأى أتقى لله منه، فليأتِ التقوى))[6]، عَدَل بالظاهر عن المضمر في قوله (فليأتِ التقوى) ولم يقل (فليأتها)، ولو قال فليأتها لجاز أن يأتي اليمين الأولى وهو مخيّر أن يأتي الأولى أو التقوى، ولكن لمّا عاد الاسم الظاهر أوجب الثاني لإفادة المعنى المراد دفعاً للايهام واللبس المتوقع حصوله بعودة الضمير على المذكور الأول وهو قوله (على يمين)، فيخرج بذلك عن مقتضى الظاهر من سياق الحديث المقصود.

---

(1) الجن : الآية 19.
(2) ينظر : الجملة العربية والمعنى : 62.
(3) ينظر : الإتقان : 194/2.
(4) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة، ح : 2674، ص680.
(5) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل العلم، ح : 79، ص36 ؛ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب توكله، ح : 2282، ص591.
(6) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من حلف يميناً، ح : 1651، ص425.

الحديث الرابع :

قال ﷺ : ((طعامُ الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة)) وفي رواية لمسلم : عن جابر (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ : ((طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية))[1].

أتى الحديث الشريف بالاسم ظاهراً دفعاً للغموض والخفاء والتوهم بعود الضمير على غير المقصود، إذا ما قُدر الكلام بـ قوله (طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعامهم يكفي الأربعة، وطعامهم يكفي الثمانية)، مما يوهم السامع، لأن لفظ (الطعام) يعود على الواحد والاثنين والأربعة والثمانية، خلافاً لما يوهمه الضمير من عودتهِ على المذكور الأول وهو (الاثنين).

الغرض الثالث : إدخالُ المهابة والروع في ذهن المخاطب[2].

تميزت معاني البيان النبوي بالقوةِ والاصالةِ ودقة المعنى في كل ما تدعو إليه أو تنهي عنهُ، لأنها تؤسس لمنهجية دعائمها الفضيلة والأخلاق والسلوك القويم، تأمرُ بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتحقّ الحق، وتزهق الباطل، ولا جدال في أن الفاظ هذا البيان تأتي ملائمة للمعنى المقصود، فيسوق المصطفى ﷺ ألفاظ التحذير والتهديد والوعيد لغرضِ إدخال المهابة والروع في ذهن السامع لما نهى الله تعالى عنهُ.

الحديث :

قوله ﷺ : ((إن الله تعالى يغارُ، وغيرةُ الله أن يأتيَ المرءُ ما حرمَ الله عليه))[3].

يتضمن هذا الحديث معاني التحريم والنهي عما حدَّ الله تعالى من حدودٍ وأمر أن لا نتعدّاها، وهذا النهي يحمل معاني الروع ومخافة الله تعالى، لما يتضمنهُ من تهديدٍ ووعيد وإنكارٍ شديد، لذا أعاد لفظ الجلالة (الله) مُسنداً إياه للحرامِ والحدود، فقال (ما حرم الله عليه)، ولم يقل (ما حرمهُ)، لأن الإنسان ربما يحرم على نفسه نعماً وملذات كبني إسرائيل إذ حرمت ما أحلَّ الله لها في قوله تعالى : **{كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاً لِبَنِي إِسْرائيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرائيلُ عَلَى نَفْسِهِ}**[4].

وقوله تعالى : **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ}**[5].

والمعنى المقصود من الحديث تشديد التحريم الإلهي لبني البشر، وإدخال الروع والمهابة لعظم هذا الأمر وشدته.

الغرض الرابع : إفادةُ العموم[6] :

تأتي إرادة العموم إذا كان الاسم الظاهر يفيدهُ أو يذكر اقتراناً بما يقيدهُ ومن أبرز مواضع هذا الغرض في البيان النبوي :

الحديث :

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب طعام الواحد، ح : 5392، ص901 ؛ صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب فضيلة الطعام القليل، ح : 2059، ص539.
(2) ينظر: البلاغة العربية (الميداني) : 101/2.
(3) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الغيرة، ح : 5223، ص873 ؛ صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب الغيرة، ح : 2761، ص698.
(4) سورة آل عمران : الآية 93.
(5) سورة التحريم : الآية 1.
(6) البرهان : 483/2.

قال ﷺ : ((ابغوني[1] الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم))[2]، آثر الحديث تكرار الاسم الظاهر موضع الضمير فعَدَل بذلك عن الجار والمجرور في قولهِ (بهم) كما هو مقتضى السياق، لأنه أراد تعميم هذه الصفةِ على الناسِ وعلى كل الضعفاء، فلا يخص بالقول الضعفاء ممن تعرفون أو أُولي أرحامكم فحسب، بل كل مسلم ترونه ضعيفاً.

الغرض الخامس : إفادة الخصوص[3] :

الحديث الأول :

قال ﷺ : ((مَن توضّأَ، فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة، فاستمع وانصت، غُفِرَ لهُ ما بينهُ وبين الجمعةِ، وزيادةُ ثلاثة أيامٍ، ومن مسّ الحصا فقد لَغَا)) [4].

الجمعة يوم شريف جعله الله تعالى عيداً لأمة الإسلام فيه خُلق آدم (عليه السلام) وفيه انزل إلى الأرض، وفيه تقوم الساعة، خصه الله تعالى بذكرهِ **{إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ}**[5]، وعلى هدي الكتاب العظيم جاء هدي السنة النبوية المطهرّة فقوله ﷺ ((من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة)) مُكرراً لفظ (الجمعة) بذكر اسمها الظاهرِ عدولاً عن قولهِ (وبينها)، لبيان قصدِ الأجر المخصوص في هذا اليوم فلا يشابهُ أجرٌ في بقية الأعمال أو الأيام.

ثم جاء التأكيد إفادة الخصوص أيضاً في ذكر لفظِ (الوضوء) للدلالة نفسها، ولبيان معنى أن الجمعة هي أحسن الأيام، وأن أحسن الأعمال فيها الصلاة فذكر لازم الجمعة والاستعداد لها بالسير، وذكر لازم الصلاة والاستعداد لها بذكر الوضوء.

الحديث الثاني :

عندما سُئل النبي ﷺ أن الرجلَ يقاتل للمغنم أو ليذكر أو ليرى مكانه أو يقاتل شجاعة أو حميةً أو غضباً فمن في سبيل الله منهم ؟ جاء جواب المصطفى ﷺ ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل اللهِ))[6].

جاء الجواب مؤكداً بالاسم الظاهر للتأكيد على أن ما كان في سبيل الله خالصاً لإعلاء كلمته لا غير هو المقصود والمخصوص بالذكر في قوله (فهو في سبيل الله).

الحديث الثالث :

قال ﷺ : ((إذا توضأ العبدُ المسلم – أو المؤمن – فغسل وجههُ، خرج من وجههِ كُلُّ خطيئة نظرّ إليها بعينهِ مع الماء – أو مع أخرِ قطرِ الماءِ – فإذا غَسَلَ يديهِ، خرج من يديهِ كُلّ خطيئةٍ كان بطشتها يداه مع الماء – أو مع آخرِ قطرْ الماءِ - فإذا غسل رجليه، خرجت كُلّ خطيئةٍ مشتها رجلاه مع الماءِ - أو مع آخرِ قطرِ الماء - ، حتى يخرج نقياً من الذنوب)) [7].

فقد جاء باللفظ الظاهر في الوجه واليدين والرجلين لأنه خصّها بعينها فكرر ذكر (وجهه) و(يداه) و(رجلاه) وهذه هي المواضع الثلاثة التي أكد عليها، إفادة الخصوص.

---

(1) أبغوني : أي أكرموهم إكراماً لي.
(2) سنن أبي داود، باب الانتصار بالضعفة، 183/7.
(3) الإتقان : 194/2.
(4) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ح : 245، ص73.
(5) سورة الجمعة : الآية 9.
(6) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب النية، ح : 123، ص577.
(7) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب ماء الوضوء، ح : 244، ص73.

الغرض السادس : مراعاة المظاهر البديعية والصور الجمالية[1] :

المظهر البديعي غايةٌ جمالية تحسينية يقتضيها اللفظ والمعنى في إطارٍ بلاغي يُراعى فيه موضع الظاهر موضع المضمر لتحقيق صورةٍ جمالية تستدعي الذهن لتأمل دقائق البديع فيها. ومن الأحاديث التي جاءت لهذا الغرض :

الحديث الأول :

قال ﷺ : ((أحبُ البلاد إلى الله مساجدها، وأبغضُ البلاد إلى الله أسواقها))[2].

عَدَّ أرباب الصنعة والاتقانِ في البلاغةِ المقابلة لوناً بديعياً متعدد الدلالة تبعاً للسياق الذي يقتضيه، يؤتى بها للجمعِ بين المتضاداتِ لفظاً ومعنى[3]، ففي الحديث الشريف يبرز أثرها واضحاً بذكر الالفاظ (أحب، أبغض) و(المساجد، الاسواق) متقابلة في اللفظِ والمعنى، مما حقق التناسب والتوازن الصوتي الذي يفرزهُ ايقاع المقابلة المتمثل بفاصلة الحديث (مساجدها – أسواقها)، فأعاد الاسم الظاهر وهو لفظ الجلالة مع مراعاة المعنى أولاً، فالحديث يبيّن أن هذا هو حكم الله لا حكم غيره، ولكن صيغ الحديث بلون المقابلة.

الحديث الثاني :

قال ﷺ : ((بسمِ اللهِ، تُربةُ أرضنا، بريقةِ بعضنا، يشفى به سقيمنا، بإذن ربنا))[4].

جاء هذا الحديث الشريف دعاءً مأثوراً عن النبي ﷺ لمن اشتكى أو كانت به قرحةٌ أو جرحٌ، فأشار الرسول ﷺ بأصبعهِ إلى الأرض ثم رفعهُ.

وقد عَدَلَ عن قولهِ (بإذنهِ) إقامة للظاهر مقام المضمرِ في تحقيق التناسب اللفظي والدلالي الناتج عن إيقاع السجع (الفاصلة)، لئلا يشتغل الذهن بالبحثِ عما يعود عليه الضمير فتختل الصورة الجمالية المتحققة في روعة الأداء البياني النبوي.

الغرض السابع : التنبيه على علّة الحكم[5] :

الحديث الأول :

قال ﷺ : ((إذا عطسَ أحدكم، فحمد الله، فشمتوهُ، فإن لم يحمد الله، فلا تشمتوه)) [6].

كان الأصل أن يأتي الحديث بالضمير في قوله (فإن لم يحمده)، لأن القصد اللفظ وليس المعنى، أي أن علّة الحكم تدور على لفظ (الحمد لله)، ولا تدور على غيرهِ من الالفاظ فلا يجوز لهُ أن يستبدل هذا اللفظ المخصوص بغيره لهذا الأمر ولا يتبدل به لفظاً آخر أو يتلفظ به إلاَّ لهذا الحكم.

الحديث الثاني :

قال ﷺ : ((ما من عبدٍ يصوم يوماً في سبيل اللهِ، إلاَّ باعدَ الله بذلك اليوم وجههُ عن النار سبعين خريفاً)) [7].

[7].

---

[1] ينظر: البلاغة العربية (الميداني) : 99/2.
[2] صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب فضل المساجد، ح : 671، ص160.
[3] ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : 285/3.
[4] صحيح البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبي ح : 5745، ص548.
[5] البرهان : 483/2.
[6] صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب تشميت العاطس، ح : 2992، ص754.
[7] صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، ح : 1153، ص275.

أن صيام يوم في سبيل الله سببٌ لمباعدة وجه الصائم عن النارِ، فعلّه هذا الحكم يسترعي الانتباه إلى أن جزاء الصوم ليس مكتوباً في يوم القيامة، وإنما في ساعةِ فطرِ الصائم في ذلك اليوم تحديداً، فالأقدار من الثواب والعقاب تكتب كل يوم قال تعالى : **{كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}** فجيء بالاسم الظاهر عدولاً عن الضمير، تنبيهاً على علة ذلك الحكم المخصوص بالذكرِ في قوله ﷺ : (بذلك اليوم).

الحديث الثالث :

ونظيره قوله ﷺ : ((عجباً لأمر المؤمن إنْ أَمرهُ كُلَّهُ خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلاَّ للمؤمن، إن أصابته سراءُ شكر، فكان خيراً لهُ، وإن أصابته ضرّاء صَبَر، فكان خيراً لهُ)) [1].

أراد النبي الكريم ﷺ أن يبين في حديثه عن أمر المؤمن أن هذا الحكم مداره على المؤمن فحسب، وإن الإخبار بالخيرية الكلية يدور حكمها ويؤول أمرها على المؤمن وليس لأحدٍ غيره.

فأقام الاسم الظاهر بعد أن عدلَ عن الضمير (هو) مقام المضمر في لفظِ (المؤمن) تنبيهاً على علّة الحكم.

الحديث الرابع :

ونظيره قوله ﷺ : ((ما أكل أحدٌ طعاماً خيراً من أن يأكل من عملِ يده، وإنّ نبيَّ الله داود كان يأكل من عملِ يدهِ)) [2].

فالحديث يدور حول العمل ومكانته في الشرع، وهو يدور حول علّة العمل لذلك أعاد لفظ (من عمل يدهِ).

الغرض الثامن : إرادة زيادة التقرير والتمكين[3] :

الحديث الأول :

قال ﷺ : ((كُلُّكُم راعٍ، وكلكم مسؤولٌ عن رعيتهِ، الإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته، والرجلُ راعٍ في أهلهِ ومسؤولٌ عن رعيتهِ، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيتها، والخادمُ راعٍ في مَالِ سيدهِ ومسؤول عن رعيته، وكُلُّكُم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته)) [4].

ابتدأ بالإمام وانتهى بالخادم، وأعاد قوله مسؤول عن رعيته أربع مرات لتمكينها وتقريرها وإثباتها في ذهن السامع، ولم يستغنِ بالضمير لأيٍ منهما.

الحديث الثاني :

قال ﷺ : ((ما من عبد يسترعيه الله رعيةً، يموتُ يوم يموت وهو غاشٌ لرعيتهِ، إلاَّ حرم الله عليه الجنة)) [5].

فأعاد النبي لفظ الجلالة لتقرير المعنى وتمكينه في نفس السامع أنَّ الرعية رعية الله، والوفاء لها وفاءٌ لله، وعدمه أنَّ الله يحرمه الجنة كما حرم رعيته النصيحة والوفاء.

الحديث الثالث :

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب لا يلدغ المؤمن، ح : 2999، ص756.
[2] صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب فضيلة الطعام، ح : 2064، ص541.
[3] الإتقان : 194/2.
[4] صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الإمارة، ح : 5188، ص867.
[5] صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية، ح : 7150، ص1147 ؛ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي، ح : 142، ص44.

ونظيره قول النبي ﷺ **((ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس))** [1].

جعل ﷺ لفظ (الغنى) ظاهراً ليبعد الظن والوهم عن أذهان كثير من الناس إذ يتصورون أن الغنى متعلّق بالجوانب المادية فحسب، ويبين أن الغنى بالنفس واستعلائها ورفعتها بما تمتلكه من قيمٍ عليا ومبادئ مثلى، وكأنه يفصّل قوله تعالى: **{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}.**

الغرض التاسع : تقوية الداعي إلى تنفيذ الأمر[2] :

الحديث الأول :

قال ﷺ : ((أن الدِّينَ يُسرٌ ولن يُشادَّ الدين أحدٌ إلاَّ غَلَبَهُ، فسدِّدوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحةِ، وشيءٍ من الدُّلجةِ)) [3].

فأعاد لفظ الدين تقوية لأنه مدار الكلام ومناط الحديث ورأس الأمر، وأحكام الدين على يسرها وعدلها ووسطها توجب الإذعان على سبيل العدل والإتقان، وللناس في ذلك سبيلان : إما غالٍ وإما جافٍ وخيرهم من كان أمره وسطاً وشرهم من كان أمره فُرطاً.

الحديث الثاني :

ونظيره قوله ﷺ : **((من غدا الى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح))** [4].

فإننا نجد في قوله ﷺ (كلّما غدا أو راح) إعادة للظاهرِ واستغناءً عن المضمر، والقصد في ذلك تقوية الداعي إلى تنفيذ ما أمر الله به.

الحديث الثالث :

قال ﷺ : ((مَنْ خافَ أدلجَ، ومن أدلج بلغَ المنزل[5]، إلا إنَّ سلعة الله عاليةٌ، إلاَّ أنَّ سلعة الله الجنة))[6].

حفز الحديث الشريف بذكره (سلعة الله) وتكرار لفظها، ذهن السامع لمعرفةِ ما هي (سلعة الله الغالية)، ليثبت سياق الحديث بعد ذلك المعنى المقصود من أن سلعة الله المؤكد ذكرها مرتين هي الجنة، فَعَدل الحديث عن وضع الضمير موضع الظاهر في قوله (سلعة الله) عن قولهِ (سلعتهُ) أو قوله (الاَّ أنها الجنة) إدخالاً للمهابةِ وتحفيزاً للطاعة بذكرِ ثوابها المنتظر.

الغرض العاشر : إرادة التوصل إلى الوصفِ باستعمال الأسم الظاهر[7] :

الحديث الأول :

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال : ((لا حسد إلاّ في اثنتين رجل آتاه القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار)) [8].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب النية، ح : 125، ص606.
(2) البرهان : 482/2.
(3) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الجهاد، ح : 39، ص27.
(4) صحيح البخاري، ح : 662 ؛ صحيح مسلم، ح : 669.
(5) (أدلج) : بإسكان الدّال، ومعناه : سارَ أول الليل والمراد : التشمير في الطاعة.
(6) سنن الترمذي، باب : أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع، ح : 2452، ج3، ص231.
(7) البلاغة العربية (الميداني) : 99/1.
(8) مسند الإمام أحمد، ح : 4412.

فالظاهر في آناء الليل وأطراف النهار أنها لا يمكن الاستغناء عنها بالذكر الأول لأن وصف الثاني مستقلٌ عن الوصف الأول، فالأول لصاحب القرآن والثاني لصاحب المال، ولكلٍّ صفته.

الحديث الثاني :

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) ان رسول الله ﷺ قال: ((بادروا بالاعمال سبعاً هل تنظرون إلا فقرا منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر)) [1].

فأعاد ذكر (الساعة) بغية التوصل إلى وصف آخر غير الذي ذُكر في بدء الحديث وكأن النبي ﷺ يتناول الساعة بحديث آخر بمعزل عن معنى الأول، فإنّ للساعة حديثاً ذا شجون، فانظر إلى روعة بيان المصطفى.

الحديث الثالث :

وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال عن النبي ﷺ قال : ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)) فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً؟ قال : ((إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس)) [2].

فالظاهر من قوله (الله جميل) أن هذا وصف، وقوله يحب الجمال، هذا وصف آخر يختلف في دلالته عن الوصف الأول.

الحديث الرابع :

وعن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : ((أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)) [3].

فأعاد ذكر البيت وذكر الجنة في ثلاثة مواضع بغية التوصل إلى وصف مستقل لكل طرف من أطراف الحديث، ولا ينفع ذكر المضمر هنا لأن لكل جملة استقلالها.

الغرض الحادي عشر : قصد الإشارة إلى إستقلالية الجملة في الحكم عن سابقتها [4] :

الحديث الأول :

قال ﷺ : ((اللهم ربَّ الناس ! مُذهِبَ البأسِ اشْفِ – أنت الشافي، لا شافي إلاَّ أنت – شفاءً لا يُغادر سقماً)) [5].

فالجملة الاعتراضية (لا شافي إلا أنت) وصفٌ آخر لمعنى آخر، وهو معنى متعلق بذات الإله، وبقية الحديث خطاب للناس في علاج مرضهم وأسقامهم.

الحديث الثاني :

---

[1] مستدرك الحاكم : 320/4.
[2] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، ح : 91.
[3] سنن أبي داود، باب الضمان، ج5، ص332.
[4] ينظر : البلاغة العربية (الميداني) : 99/2.
[5] مسند الإمام أحمد : ح : 12295.

ونظيره قول النبي ﷺ : ((من كان يؤمن باللهِ واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت))[1].

فقد استقلت الجمل الثلاث بعضها عن بعض، وكلّ ثلث من الحديث أمّة في المعاني لوحده، فلكَ في الحديث ثلاث أمم من الفصاحة والبيان والروعة والإتقان، فعلى صاحب جوامع الكلم أفضل الصلاة والسلام.

الحديث الثالث :

أن رسول الله ﷺ قال : ((ليس الشديد بالصرعة إنّما الشديد من يملك نفسه عند الغضب))[2].

فقد استقلت الجملة الأولى عن الجملة الثانية، وأعاد لفظ (الشديد) قصد الإشارة إلى استقلالية الجملة الأولى في حكمها عن الثانية والله تعالى أعلم.

الخاتمة والنّتائج

بعدَ تطوافنا في رِحاب البَيان النبويّ الشّريف ، ووقوفنا عندَ محطات لغويّة بلاغية متنوّعة الدلالات كَشفت أفانينَ المقالِ والمَقامِ للبحثِ والتمحيصِ ، وبالتحديد في ظاهرة (وضعِ الظّاهرِ موضعَ المُضمرِ) ، يمكننا إيجاز أهم النتائج التي توصّل لها الباحث ، وكان أبرزها :-

–أوّلاً : حظيت ظاهرة (وَضع الظّاهرِ مَوضِع المُضمَرِ) بمكانةٍ رفيعةٍ في متونِ اللغة ،والنّحو ،والبلاغةِ والتفسيرِ قديمًا وحديثًا، فكشفت عن بعض أسرار البَيانِ النّبويّ الشّريف ، ذلكَ الفُلك الذي تدورُ فيهِ أزاهيرُ الفَصاحةِ والبلاغة والأدب، وتنطوي أسرار لها أثرها في اللغة والبلاغةِ .

– ثانيًا : إنَّ أصول البيان العربي مضبوطة بقواعد تقضي بأن يكون الكلام العربي على مقتضى الظاهر بالأصالة؛ ولكن مع هذا يجري الكلام على خلاف مقتضى الظاهر،كأن يوضع الظاهر موضع المضمر، لتحقيق أغراض بلاغية منشودة تفي بالمقصود، تُفهمُ مِن السياق والمقام: كالتَّعظيمِ والتّفخيم، والإهانة والتّحقير، أو زِيادة التقرير والتمكين، أو إزالة اللبس والغموض، أو قصد تربية المهابة، وإدخال الروعة في ضمير السّامع بذكر الاسم المقتضي، أو الاستلذاذ بذكر الظاهر، أو استقلال الجملة، أو قصد العموم أو الخصوصِ .

–ثالثًا : إنَّ لهذهِ الظاهرة الملحوظة بكثرة في البَيانِ النّبويّ الشّريفِ_ بأغراضها النحويّةِ والبلاغية_ دورٌ كبيرٌ في تحديدِ المعنى المقصود من خلالِ السّياق والمَقام .

–رَابِعًا : تُعدُّ خصيصة الإيجاز من أبرز خصائص البيان النبوي، فقد جمع البيان النبوي الألفاظ اليسيرة المعاني الغزيرة الدّلالات .

– خَامِسًا :كانَ المُصطفى ﷺ يتخير في خطابه، ويختارلامته أحسن الألفاظ وأجملها وألطفها، وأبعدها من أهل الجفاء والغلظة والفحش، فلم يكن فاحشًا ولا مُتفحشًا، ولا صخّابًا ولا فظًّا، وكان يكره أن يستعمل اللفظ الشريف المصون في حق من ليس كذلك، وأن يستعمل اللفظ المهين المكروه في حق من ليس من أهلهِ .

–سَادِسًا : روعةُ الفصاحةِ،ورونق البيان قد أحاطا بالحديث من كل جوانبه، ففي مقام ذكر لفظ الجلالةِ مقترنًا بذكر رسولهِ ﷺ جاء بحرف الجر (إلى) للدلالة على منتهى الغاية، في حين جيء بحرف الجر

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الإيمان بالله، ح : 6018، ص983 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إكرام الضيف، ح : 47، ص25.

(2) صحيح مسلم، كتاب البر، باب من يملك نفسه عند الغضب، ح : 108، ص665.

(اللام) مُقيّدًا لفظ (الدنيا) ،ولك بعد هذا أن تعدد معاني اللام، من تعليل ومُلكٍ وشبهة، وتلزمها بذكر لفظ (الدنيا وأهلها).

–سَابِعًا :العُدَلُ عن الكثيرِ من التراكيبِ ؛ إقامةً للظاهر مقام المضمرِ في تحقيق التناسب اللفظي والدلالي الناتج عن إيقاع السجعِ (الفاصلة)، لئلا يشتغل الذهن بالبحثِ عما يعود عليه الضمير مثلاً ؛فتختل الصورة الجمالية المتحققة في روعة الأداء البياني النبويّ.

–ثَامِنًا : حققت ظاهرةُ وضعِ الظّاهرِ موضعَ المُضمر إرادة التوصل إلى الوصفِ باستعمال الأسم الظاهر .

–تَاسِعًا : سُؤَالَ وَضْعِ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ حَقُّهُ أَنْ يَكُونَ فِي الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ؛ فَأَمَّا إِذَا وَقَعَ فِي جُمْلَتَيْنِ فَأَمْرُهُ سَهْلٌ، وَهُوَ أَفْصَحُ مِنْ وُقُوعِهِ فِي الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ جُمْلَتَانِ، فَحَسُنَ فِيهِمَا مَا لَا يَحْسُنُ فِي الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ .

–عَاشِرًا : متى طَالَ الكَلامُ ، حَسُنَ إيقاع الظّاهر موضعَ المضمر؛ كيلا يبقى الذهنُ مُتشاغلًا بسبب ما يعودُ عليه اللفظُ، فيفوته ما شُرع فيهِ .

المصادر والمراجع :

1- الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي، ط3، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1370هـ - 1951م.
2- البرهان في علوم القرآن : الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، طبعة منقحة محررة، بيروت.
3- البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، تأليف عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط2، 1428هـ - 2007م.
4- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : للعلامة أبي العلاء محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، (ت 1353هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ - 1990م.
5- الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، د. محمد ضاري حمادي، ط1، 1402هـ - 1982م، منشورات اللجنة الوطنية، بغداد – العراق.
6- الخصائص البلاغية للبيان النبوي : د. محمد أبو العلا الخمراوي، مكتبة الرشد، ناشرون، ط1، 1428هـ - 2007م، الرياض، المملكة العربية السعودية.
7- رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين، تصنيف الإمام المحدّث محيي الدين بن شرف النووي (ت 676هـ)، دار ابن الوزي، حققه وضبطه علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، ط2، 1422هـ، المملكة العربية السعودية.
8- صحيح البخاري : الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (194 – 256هـ)، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، قرأه وراجعه : د. محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، 1432هـ - 2011م.
9- صحيح مسلم : الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206 – 261هـ)، مكتبة الرشد، ناشرون، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1427هـ - 2006م.
10- عمدة القاري شرح صحيح البخاري : بدر الدين العيني الحنفي.
11- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، ط دار الكتب العلمية، ط2، 1415هـ - 1995م.
12- فتح الباري شرح صحيح البخاري : للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، طبعة الرياض، ط1، 1421هـ - 2001م.
13- فيض القدير شرح الجامع الصغير : المناوي، دار الكتب العالمية، لبنان، ط1، 1415هـ - 1994م.

14-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين محمد بن الأثير (ت 637هـ)، طبعة بولاق، 1282هـ.
15-معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1427هـ - 2006م.
16-نزهة المتقين شرح رياض الصالحين : تأليف د. مصطفى سعيد الخن، ومصطفى البغا، ومحيي الدين مستو، وعلي الشربجي، ومحمد أمين لطفي، مؤسسة الرسالة، ط26، 1421هـ - 2001م.